وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

عنوان المحاضرة

(أدب عصر ما قبل الاسلام)

اسم التدريسي

م. د. رغده عامر ياسين
الايميل الجامعي:- raghda.yaseen@tu.edu.iq

١٤٤٦ هـ ٢٠٢٥م

إذا كان القصص الذى اضيف إلى الجاهليين لا يحمل لنا صورة دقيقة للنثر الجاهلي بحكم تأخره في التدوين فإن الأمثال تحمل لنا غير قليل من هذه الصورة ، إذ أن من شأنها أن لا تغير ، وأن تظل طويلا بصورتها الأصلية، بحكم إيجازها وكثرة دورانها على الألسنة . وقد سارع العرب إلى تدوينها منذ أواسط القرن الأول للهجرة ، إذ ألف فيها صحار العبدى أحد النسابين في أيام معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠) كتاباً كما ألف فيها عبيد بن شرية معاصره كتاباً آخر ، ويقول يا صاحب الفهرست إنه رآه في نحو خمسين ورقة. وإذا انتقلنا إلى القرن الثاني وجدنا التأليف في الأمثال يكثر ، إذ أخذ علماء الكوفة والبصرة جميعاً يهتمون بها ، ويؤلفون فيها ، وقد وصلنا عن هذا القرن كتاب أمثال العرب للمفضل الضبى ونمضى إلى القرن الثالث ، فيؤلف أبو عبيد القاسم بن سلام فيها كتاباً يشرحه من بعده أبو عبيد البكرى باسم ((فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام)) . وما تزال المؤلفات في الأمثال تتوالى ، حتى يؤلف أبو هلال العسكري كتابه (جمهرة الأمثال) ، ويخلفه الميداني ، فيؤلف كتابه ((مجمع الأمثال)) ، وهو يقول في مقدمته إنه رجع فيه إلى ما يربو على خمسين كتاباً . ومن يرجع إلى هذه الكتب يجدهم يسوقون الكلمة السائرة التي تسمى مثلا ، ولا يكتفون بذلك ، بل يقفون غالباً لسرد القصة أو الأسطورة التي تمخض عنها المثل، وقد تتمخض عن أمثال أخرى فتُروى في تضاعيفها . وموقفنا من الأقاصيص والأساطير لا يختلف عن موقفنا من القصص الجاهلي بعامة ، فنحن لا نتخذ منها صورة للنثر الجاهلي وإن اختلجت بروحه وطبيعته وحبوبته ، لنفس) دك السبب الذي ذكرناه ، وهو تأخر تدوينها . أما الأمثال نفسها فمن المحقق أن طائفة كبيرة مما روته الكتب السالفة يتحتم أن تكون جاهلية، وخاصة أكثر ما رواه عبيد ابن شرية، ولو أن كتابه لم يسقط من يد الزمن ووصلنا لنا لا طمأننا إلى ما يرويه

مـن هـذه الأمثـال ، غيـر أنـه فقـد . ولـم يحـاول مـن جـاءوا بعـده أن يفـردوا الأمثـال الجاهليـة مـن الإسـلامية إذ درّج أكثـرهم علـى ترتيـب الأمثـال حسـب الحـروف الأولـى علـى نحـو مـا ترتـب المعـاجم الفاظهـا، فهـم يرتبونهـا أو يؤلفونهـا فـي تسـعة وعشـرين بابـاً بعـدد أبـواب الحـروف الهجائيـة . وبـذلك أصـبح مـن الصـعب تمييـز جاهليهـا مـن اسـلاميها فـي كثيـر مـن الأحيـان، ومـع ذلـك قـد يـورد أصـحاب هـذه الكتـب مـع مـا يروونـه مـن الأمثـال إشـارات تـدل على جاهليها وقدمها ، وهي تتخذ عندهم طريقتين:

الطريـق الأول أن يسـوقوا مـع المثـل قصـة جاهليـة تفسـره ، أو أن يسـاق هـو فـي أثنـاء قصـة جاهليـة ، كتلـك الأمثـال التـى نقرؤهـا فـى قصـة الزبـاء مـن مثـل : ((لا يطـاع لقصـير أمـر)) و « لأمـر مـا جـدع قصـير أنفـه » و ((بيـدى لا بيـد عمـرو))، وقـد بلغـت أمثـال هـذه القصـة عنـد الميـداني ثمانيـة عشـر مـثلا . ومـن هـذا الطريـق مـا يتصـل بأحـداث أو أسـاطير جاهليـة كالـذي زعمـوا أن النعمـان بـن امـرئ القـيس اللخمـي ابنـى قصـراً لـه بسـمى الخـور نـق ، بنـاه لـه رومـي يسـمى سـنمار ، فلمـا أتمـه قـال لـه سـنمار : إنـى أعـرف موضـع أجـرة لـو زالـت لسـقط القصـر كلـه، فقـال لـه النعمـان : أيعرفهـا أحـد غيـرك ؟ فقـال : لا، فقـال : لا جـرم لأد عنهـا ومـا يعرفهـا أحـد ، ثـم أمـر بـه فرمـى مـن أعلـى لقصـر إلـى أسـفله فتقطـع ، فضـرب بـه الجـاهليون المثـل فقـالوا : جـزاء سـنمار . وأمـا الطريـق الثـاني فهـو أن ينسـبوا المثـل إلـى جـاهليين ، فحينئـذ يتعـين زمنـه وتاريخـه ، وهنـاك كثيـرون اشـتهروا فـيهم بالحكمـة والأمثـال السـائرة ، ومـنهم مـن يغـرق فـي القـدم مثـل لقمـان عـاد، تلـك القبيلـة اليمنيـة التـي كانـت تنـزل فـي الأحقـاف ، والتـي بـادت ولـم تبـق منهـا باقيـة فـي الجاهليـة ، وقـد ظـل اسـم لقمـان يـدور علـى ألسـنة وظلـوا يذكرونـه بالحكمـة والبيـان والحلـم . يقـول الجـاحظ : « مـن القـدماء لمـن كـان يـذكر بالقـدر والرياسـة والبيـان والخطابـة والحكمـة والـدهاء والنكـراء لقمـان عـاد ، ويـنص علـى أنـه غيـر لقمـان الحكـيم المـذكور فـي القـرآن الكـريم كمـا يـنص علـى ذلـك المفسـرون . ولقـدم لقمـان حفـت الأسـطورة بـه وبحياتـه وكـل مـا يتصـل بصـلاته مـع النـاس والنساء . فقال الإخباريون إنه كان عملاقاً كبير الرأس قوياً قوة

.

خارقة حكما حكمة بالغة . وقالوا إنه عاش عمر سبعة نسور وأن كل نسر منها عاش ثمانين سنة وكان لبد آخرها ، و به ضربوا المثل في طول العمر فقالوا : طال الأبد على لبد . ونسبت إلى لقمان في عصور متأخرة طائفة من الأقاصيص أريد بها إلى العظة والاعتبار ، سميت أمثال لقمان ، وهى مكتوبة بأسلوب ركيك ضعيف . وقد زعم هلر Heller ، كاتب مادة لقمان في دائرة المعارف الإسلامية أن شخصية لقمان مرت بثلاث مراحل مرحلة جاهلية وفيها يتراءى لقمان عاد الأسطوري الذي يقال إنه عاش عمر سبعة نسور وكلما هلك منها نسر خلفه نسر آخر ، حتى كان لبد الذي ذكره شعراؤهم كثير مرحلة قرآنية ، وفيها نجد للقمان سورة خاصة به في الذكر الحكيم وقد ربط بعض المفسرين بين لقمان هذا وبين بلعام حكيم بنى إسرائيل فسردوا له نفس نسبه إذ قالوا إنه لقمان بن باعور بن ناحور ابن تارخ مرحلة متأخرة، وهى مرحلة نسج فيها ولفق قصص كثير حول لقمان كما يصور ذلك كتاب و أمثال لقمان » .

ومن المحقق أن «هلر» مخطئ فيما ذهب إليه من هذا التطور لشخصية لقمان، لسبب بسيط ، وهو ما قلناه من أن قدماءنا فرقوا بين لقمان عاد ولقمان القرآن الكريم ، فهما ليسا شخصا واحدا بل هما شخصان . وبينما تعنى بالأول كتب الأمثال نجد الثاني تعنى به وبوصاياه كتب الفقه والتفسير مثل موطأ مالك وتفسير أبي حيان ، وقد روى الجاحظ طرفا من تعاليمه ، وهي تطبع بطابع دينى واشتهر في الجاهلية بينهم كثيرون بهذا اللون من الأمثال وايتصل بها من حكم ، يقول الجاحظ : (ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفي وربيعة ابن حذار وهرم بن قطبة وعامر بن الظرب والبيد بن ربيعة) ، وأحكمهم أكثم بن صيفى التميمي وعامر بن الظرب العدوانى. فأما أكم فكان من المعمرين